

دور علماء بلاد الشام
في حركات التحرر العربية المعاصرة
بقلم: د. رضوان محمد سعيد عجاج إيزولي
جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

ملخص

دور علماء التصوف في حركات التحرر في بلاد الشام

يقوم هذا البحث على بيان دور علماء التصوف في بلاد الشام في حركات التحرر المعاصرة، وقد قمت بالتركيز على علماء كان لهم الفضل في نشر العلم، والإصلاح الاجتماعي، ومقاومة الاحتلال، وبينت دورهم في الثورات التحررية، ومن استقرائي للتاريخ المنشور حول حركات التحرر المعاصرة وجدت أكثر هؤلاء العلماء مغمورين على ما قاموا به من تعبئة للجماهير، ومقاومة للاستعمار الفرنسي والبريطاني، وقد تتبع سيرهم، من خلال ما كتب عنهم من قبل تلاميذهم والمخلصين من المؤرخين.

وظهر للباحث أنّ التاريخ يجب أن تعاد صياغته ولا يُكتفى بما كتبه المستشرقون وأصحاب الملل والنحل والأهواء، بما أثبتوه عن قوقعة المتصوفة في زواياهم، وتخلفهم عن المشاركة في تحرير البلاد، على أنّ الاستعمار قدر الله ولا بد من الرضا بقضاء الله. والحقيقة أثبتت عكس ذلك فاهتمامهم بالجهاد الأكبر والأصغر يسيران في خطين متوازيين، فجاهدوا ورابطوا واستشهدوا فكانت غايتهم النصر أو الشهادة في سبيل الله، بعد أن جاهدوا أنفسهم وهذبوها ليكون جهادهم خالصاً لوجه الله.

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين قال صلى الله عليه وسلم: «لَغَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، وَلَقَابُ قَوْسٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»⁽¹⁾ وقد فرض الله تعالى على المؤمنين أن يقاتلوا الكفار فقال تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» (سورة الأنفال، الآية: 39)

بدأ الإسلام بالجهاد وسينتهي إلى الجهاد، وجعل ما بينهما من حرب وسلم جهادا فالجهد اصغر؛ لأنه حالة عارضة، والسلم جهاد اكبر لأن جهاد النفس أدام؛ لأنه استعداد لدنو ساعة الحرب ومقارعة العدو «فكلاهما واجب على المكلف ولا فصل بينهما، فإذا انتهى المسلم من مواجهة العدو الظاهر، فليسع لمواجهة العدو الباطن أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك»⁽²⁾.

ولا يتحقق ذلك إلا بالإخلاص فيما بعث الله به محمد عليه السلام فالعلماء عرفوا طريق الإخلاص في الجهاد، فتخلصوا من أدران نفوسهم، وهذبوها بالتخلية عن كل خلق دنيء وتحلوا بكل خلق سني؛ ثم انطلقوا إلى ساحة المعركة متحققين بقوله صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله

⁽¹⁾ رواية البخاري وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (191/16) .

⁽²⁾ رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف ، وانظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس العجلوني، إسماعيل بن محمد دار إحياء التراث العربي ، وما أحسن ما قيل:

إني بليت بأربع ما سلطوا + إلا لأجل شقاوتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى + كيف الخلاص وكلهم أعدائي 413 -

هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل»⁽¹⁾ ولم يكن جهادهم حمية ولا رياء ولا شجاعة.

والجهاد الذي فرضه الإسلام لم يكن بحال من الأحوال رغبة في إراقة الدماء وقتل الأبرياء بسبب اختلاف في الدين أو المذهب أو العرق أو الجنس، أو بسبب التعصب الأعمى؛ لان الإسلام يرفض الإرهاب «الذي يراد به الممارسات الخاطئة أيًا كان مصدرها وشكلها، والمتمثلة في التعدي على الحياة الإنسانية بصورة باغية متجاوزة لأحكام الله، تروغ الأمنين وتعتدي على المدنيين المسالمين، وتجهز على الجرحى وتقتل الأسرى، وتستخدم الوسائل غير الأخلاقية، من تهديم العمران واستباحة المدن «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق» (الأنعام:151) ولكنه أقر مقاومة الظلم، وإقرار العدل بوسائل مشروعة، ويدعو الأمة للأخذ بأسباب المنعة والقوة لبناء الذات والمحافظة على الحقوق»⁽²⁾ ولكن الجهاد الذي نقصده هو جهاد المحتل الظالم والطامع في خيرات المسلمين جهاد العدو الذي استهدف عقيدة المسلمين وأعراضهم هذه هي المقاومة التي نقصدها في بحثنا هذا.

وعلى هذا فقد عرف العلماء العاملون دورهم جيدا، وعرفوا من يقاتلون وكيف يجاهدون؛ ولذا فقد جمعوا بين الجهاد الأصغر والأكبر، وبناء عليه فإننا نجدهم المجاهدين الذين باعوا أنفسهم لله فاقبلوا وما أدبروا، ولم يتقاعسوا عن تلبية نداء الواجب.

⁽¹⁾ رواه البخاري في باب الجهاد.

⁽²⁾ أنظر رسالة عمان بيان مفصل أصدره صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني

<http://www.ammanmessage.com/index.php?lang=ar>

اتهامات باطلة: اتُّهم الصوفية اتهامات باطلة ملأت صفحات الكتب، والمواقع الالكترونية ونصبوا العداء لعلمائه قديما وحديثا فلم يسلم من ألسنة المتَّهمين أحد، سواء في ذلك المجروحون والعدول فصبوا جام غضبهم على الدعاة والمجاهدين والمصلحين والكتاب والشعراء والمؤلفين وممن ينسب إلى التصوف دون ترو وتوثق، وكثير منهم ممن يُشهد لهم بالعدل والفضل والولاية؛ بل وصل الأمر بهم إلى حد التكفير وإخراجهم من الملة خالطين الحابل بالنابل،⁽¹⁾ فانبرى لهم المنصفون وبيّنوا حقيقة التصوف وعلمائه.

ومما قالوه فيهم أن تقاعس هؤلاء المتصوفة عن الجهاد، يرجع إلى فكرة التصوف نفسها، فهي لا ترى جهادا ولا حربا، إلا جهاد النفس وحرَبها. وقالوا: «أن الصوفية يرون عدم جدوى جهاد الكفار بناء على قولهم بأن كل ما قدره الله فهو يحبه، وكل ما وقع قدر الله، ولذا يجب عدم معارضة قضاء الله وقدره، وقالوا: إنهم استقبلوا المحتل وينالون منهم الدعم المادي، وقالوا: تركز الدول العظمى على الصوفية وكثير من الزوايا الصوفية تقوم مقام المراكز الاستخبارية للدول المستعمرة»⁽²⁾ كما أنهم جانبوا الإنصاف والموضوعية في أحكامهم فحكموا على الجميع بحكم الفرد، ولم يفرقوا بين الصوفي والمتصوف الدعي وهو ليس منهم ومثل هؤلاء لم تقرّ هاجمهم الصوفية أنفسهم فتبرؤوا منهم ونقدوهم، واللافت أن كثيرا من الطرق

(1) أنظر على سبيل المثال "هذه هي الصوفية"، التصوف بين الحق والحقيقة"، المواقع الالكترونية كموقع الصوفية ، وروض الرياحين، وموقع الدفاع عن الداعية الحبيب علي الجفري وموقع صوفية حضر موت.....الخ

(2) www.alagidah.com/vb/archive/index.../t-2164.html فقد كانت زاوية

(مستغانم) أعظم مراكز الاستخبارات الفرنسية بالنسبة للمغرب

الصوفية اكتفت بالرسوم الظاهرة، ولم يعد حال صوفية اليوم كصوفية أمس كما أشار لذلك صاحب المباحث الأصلية:

إن فشان القوم ليس محدثا بل كان أحوى فوجدناه غثا
فاسلك طريق القوم تلقى يمنه إذ الكتاب قيده والسنة⁽¹⁾

وعليه فلا بد لنا أن نبين دور علماء التصوف في حركات التحرر العربية المعاصرة. للوقوف على الحقيقة، وبيان دورهم، من خلال الوثائق التاريخية والسَّير التي ترجمت لهم ليكون برهانا وبيانا للحقيقة وإبراء لذمة علمائنا مما اتهموا به من التخلف عن منادي الجهاد. وفي بحثي هذا سوف اقتصر الترجمة على بعض علماء بلاد الشام لأسباب هي:

أن لهم فضل المبادرة في مقاومة المحتل الفرنسي والبريطاني. وجدتهم مغمورين ولم يكتب عنهم كما كتب عن علماء المغرب والجزائر وليبيا والسودان ومصر فقد كتب الكثير عن الخطابي وعمر المختار والحركة السنوسية والمهدي واحمد عرابي وماء العينين... الخ بحث كهذا لا يستوعب جميع علماء الصوفية، فكل جزء من العالم الإسلامي يحتاج إلى بحث مستقل وجهد ليس بالسهل. والبحث يسلط الضوء على العلماء الذين لهم اتصال بالتصوف الإسلامي والذين واكبوا عصر الاستعمار لبلاد الشام، ولم أذكر خلاله ما قام به علماء

⁽¹⁾ ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية.

المسلمين قبل هذا العصر على فيه من مواطن مشرقة تبين دورهم ومرابطتهم على الثغور، ومقاومتهم للمعتدين.

إن الناظر بعين الإنصاف، للتاريخ الموثق والمحقق ليجد أنَّ أغلب حركات التحرر المعاصرة قامت على كاهل علماء لهم اتصال وثيق بالتصوف⁽¹⁾ وقلما نجد حركة من حركات التحرير المعاصر لم يكن لعلماء التصوف فيها دور.

وللأسف فقد أغفل المؤرخون دور علماء المسلمين عامة ومن انتسب منهم للتصوف خاصة؛ لما لبعث الروح الصوفية من دور في إثارة ذعر أعداء الإسلام؛ لما لاقوه من مقاومة وتфан في محاربتهم سابقا ولاحقا.

فالتصوف: هو المارد الذي يخيفهم؛ لعلمهم بشراسة مقاومتهم إبان الحروب الصليبية؛ ودليل ذلك موقف قائد الحملة الفرنسية غوروا حين دخل دمشق محتلا، فهرع إلى قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي وخاطبه بحقه: "ها قد عدنا يا صلاح الدين" ودليل آخر ما فعلوه بشيخ الشهداء عمر المختار، فلم يكتفوا بشنقه بل أخفوا جثمانه، وصبوا فوقه الخرسانة، كما أن حروبهم كانت صليبية وهو ما اجمع عليه المؤرخون عرب ومستشرقون.

وقد يكون ذلك ما دعاهم لتجاهلهم وتجاهل دورهم، وإبعادهم عن بؤرة الضوء في السجلات التاريخية؛ فلا نجد ذكرا لهم فيما كتبوا، اللهم إلا هنا وهناك في طيات كتب التراجم، أو المؤلفات التي ألقت بذكر مآثرهم من قبل المؤرخين المنصفين، أو تلاميذهم المخلصين، والتي لم تصل للقراء إلا بعد

(1) وهذا لا يعني تقاعس غير الصوفيين عن مقاومة الاستعمار بل يحدثنا التاريخ عن أبطال مسلمين وغير مسلمين كان لهم دور كبير في مقاومة الاحتلال.

مرور عقود من جهادهم، وتحرير الأرض من براثن الاستعمار، ويستثنى منهم مشاهير المجاهدين ممن دخلوا التاريخ عنوة: كعمر المختار وعبد القادر الجزائري وعز الدين القسام، والخطابي وعرابي وشامل النقشبندي وسعيد النورسي، فلم يستطيعوا إسكات أقلامهم فكتبوا تاريخهم على استحياء. وذلك لمواقفهم الناطقة والشاهدة على التاريخ، والظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار.

والمتابع لحركات التحرر في العالم الإسلامي والسيرة التي يتمتع بها أبطالهم، يقرأ هدف المستعمر واستراتيجياته في القضاء على مظاهر الصحة الإسلامية، وعودتها إلى جذورها الأصلية: «الكتاب والسنة النبوية»، فجيشوا الجيوش لنزع الإسلام من أعماق المسلمين، وخصّوا بذلك التصوف لما له من دور فعال في المزاوجة بين الروح والجسد - فلم يؤثروا أحدهما على الآخر - علما وعملا وسلوكا؛ مما يجعلهم يحسبون الحسابات الدقيقة، ويرسمون الاستراتيجيات طويلة الأمد، للقضاء على روح الإسلام؛ الذي يريدونه إسلاما فارغا من العقيدة والجهاد والتحرر من ربقة الاحتلال، فلم يتركوا وسيلة لنزع تعاليم القرآن وهدى السنة إلا واستخدموها سلاحا ضد المسلمين «وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا» فنراهم يقتلون المسلمين باسم الإرهاب والعنف والتطرف؛ يتربصون بهم الدوائر، فجميع حروبهم معلومة الغاية واضحة الوسيلة، فاحتلوا بلاد المسلمين؛ لسرقة خيراتهم وانتهاك حرمتهم، لا يراعون في مؤمن إلا ولا ذمة، ويوهمون العالم بأنهم ذوو الديمقراطية، ورعاية حقوق الإنسان، ودعاة الرفق بالحيوان وحماية البيئة، فسموا احتلالهم استعمارا، وعاثوا في الأرض فسادا، باسم

الحرية والديمقراطية؛ الديمقراطية التي تكيل بمكيالين مختلفين، فهي لا تطبق إلا على شعوبهم، ونراهم ينادون بتفوق الجنس والعرق الأبيض أما شعوب العالم عبيد، وحيوانات تعيش في حظائر في دول العالم الثالث. فهم الإرهابيون ويسمون المسلمين إرهابيين، وهم قتلة ويسمون المسلمين قاتلين وهم الدمويون ويسمون المسلمين بالدمويين، كل ذلك على مرأى أعين دعاة التقدم والتحضر، ودعاة الحرية والديمقراطية، واليوم يحاربون المسلمين باسم العولمة التي تحمل في طياتها سيوفا مسلطة على رقاب المستضعفين في الأرض..⁽¹⁾ ضمن مخطط مدروس ومرسوم بدقة، ومطبوخ في مطبخ صنع القرار الأمريكي⁽²⁾ مخالفين بذلك كل العهود والمواثيق الدولية، ومعاهدة جنيف في معاملة الأسرى.

ولكن الله تولى هذا الدين وتعهده بحفظه فهيأ له علماء عملوا بما علموا فأورثهم الله علم ما يعلموا، زكّوا أنفسهم فزكت، نظروا في واقع المسلمين، ووسطوة العدو فهبوا لتخليص بلادهم من براثن الاستعمار في مشارق البلاد ومغاربها، فقاموا بالواجب الموكول إليهم خير قيام ولبوا داعي الجهاد، وربوا أتباعهم في الرباطات، فباتوا مرابطين على الثغور يدفعون كل معتد، صامدين صمود الصحابة الذين حرصوا على الموت لتهب لهم الحياة، أخرجوهم خاسئين بصلابة إيمانهم وبقينهم بأن الله ناصر دينه، قاتلوا في

(1) انظر مقدادي، محمد، العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2000.

(2) انظر كتاب صناعة القرار الأمريكي أ.د: ماجد عرسان الكيلاني.

سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ومبتغاهم إحدى الحسينين، إما النصر وإما الشهادة.

ومن هؤلاء العلماء علماء بلاد الشام الذين وقفوا في وجه الاستعمار المعاصر من الفرنسيين والبريطانيين فسجلوا أسماءهم في صفحات المجد والخلود مقبلين غير مدبرين كالفستام والحسيني والتلمساني والجزائري والكتاني والكردي وبدر الدين الحسني والاشمر واحمد الحارون وعلي الدقر ومحمد الحامد والشاغوري، ومعهم الكثير ولكن هؤلاء أذكرهم كنماذج يحتذى بها على سبيل المثال لا الحصر. وأكثر الذين أرخو للكفاح الدامي، والثورات المتلاحقة لتحرير سورية من الاستعمار الفرنسي (1920-1946) أغفلوا دور علماء المسلمين في تلك الثورات، والحقيقة أن الدور الأكبر كان لهم في بث روح الحماسة في الناس، وحضهم على الجهاد بالأنفس والأموال، والخروج على المحتلين المستعمرين ومقاومتهم في ميسلون والغوطة وحمص وحماة وحلب وجبل صهيون وسواها وربما لم ينالوا من الشهرة ما ناله غيرهم.

علماء بلاد الشام ليس من السهولة بمكان أن نتحدث عن أعلام التصوف الذين كان لهم دور بارز في حركات التحرر المعاصرة في بلاد الشام، فأحصاؤهم وذكر مواقفهم تنوء على الحصر وأمر لا يستطيعه باحث ولا باحثان بل يحتاج إلى جهد جماعي ليعيد صياغة التاريخ وإعطاء كل ذي حق حقه.

وبعد الدراسة والنظر في كتب السير والتراجم ظهر للباحث أن جلَّ حركات التحرر الإسلامية قامت على عاتق العلماء العاملين، وسنذكر في هذا البحث بعضاً من أعلامهم وبيان دورهم:

1- محدث الديار الشامية العلامة بدر الدين الحسني:

مفجر الثورة السورية الكبرى (1925-1927م) والأب الروحي لها: أستاذ علماء الشام⁽¹⁾ (1345هـ) (1850-1935م) ولد في دمشق من أب قادري الطريقة كان فقيهاً زاهداً عارفاً بالله يغوص على مكنونات علم التصوف بدقة وعليه قرأ شيوخ المتصوفة في دمشق.⁽²⁾ ولما قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي في سوريا كان الشيخ يطوف المدن السورية متنقلاً من بلدة إلى أخرى حاثاً على الجهاد وحاضاً عليه يقابل الثائرين ويضع لهم الخطط الحكيمة فكان أباً روحياً للثورة والثائرين المجاهدين⁽³⁾ «عاش ثمانين سنة بالعلم وللعلم، ما جرى فيها بغير العلم لسانه، يرى الناس طاعته من طاعة لله، لأنه يعلمهم أحكام الله، كان يراقب الله والناس عنه غافلون ويقراً العلم ويسبح والناس نائمون.. يعد الإمام المرجع في كل فن: في اللغة وغريبها وفي الصرف وفي النحو، وفي فقه المذاهب الأربعة المدونة وغير

(1) لترجمته ودوره انظر الأعلام، ج7، ص157 وانظر كتاب تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة، دمشق 1986، دار الفكر ط1، ج1، ص472. وللشيخ محمد صالح الفرفور مرآة في الشيخ وكتاب "المحدث الأكبر وإمام العصر العلامة الزاهد الشيخ محمد بدر الدين الحسني كما عرفته.

(2) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة، دمشق 1986، دار الفكر ط1، ج1، ص472.

(3) الأعلام، ج7، ص157.

المدونة.. والحديث رواية ودراية، وفي معرفة الرجال والأسانيد، وفي الكلام والفلسفة والأخبار... كان في علمه وسيرته بقية السلف ونادرة العصر، الذي سيمر وقت طويل قبل أن ترى مثله ديار الشام لا بل بلاد الاسلام»⁽¹⁾
رثاه الشاعر العلامة محمد صالح الفُرفور بقوله:⁽²⁾

ألا ما لهذا الدهر يفجعنا عمداً وما للفتى يرجو بموطنه خُلداً
ألم يدر أن الموت جارٍ مُحتمّ فلم يُبقَ مَنْ في الأرض جمعاً ولا فرداً
لعمرك قد باتت ضلوعي على جوى وأصبح عيشُ القوم من بعده نكداً
أنعشاً حملتم آلَ جَلَقَ جهرةً أم العلم قد سَجِيَتْ فوقه بُرداً
مصابٌ دهى يا للنوائب والردى فقد أذهبَ الألبابَ واستنفدَ الرُّشداً
مصابٌ دهى الإسلامَ لو أن بعضه أصاب جبالَ الشام أشبعها هدّاً
فيا شام، بدرُ العلم غابَ بأفقه ويا قومُ شمسُ الفضل قد سَكَنْتَ لَحداً
وهي بعدك المجدُ الذي كان شامخاً وقد كان قبل اليومَ مجتمعاً صلداً
فمن للفتاوى بعد بينك إذ غدت تصاب بنكدٍ لم تجد قبله نكداً
ومن للبخاري والنسائي ومسلمٍ إذا عنعنَ الحادي وجاء به سرداً
دعاك رسولُ للمنايا أجبتَه كأنك تُدعى للوليمة مُعتداً

⁽¹⁾ طنطاوي ، علي، رجال من التاريخ دار المنار جده ط 8 ، 1990م، ص 381-385.

⁽²⁾ محمد صالح الفرفور، ديوان آلام وآمال، مخطوط ، نقلا عن موقع معجم البابطين
لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

وقد كنت فينا نعمةً قلّ شكرها وما كان منك البين إلا لنا نكداً

2- المجاهد محمد بن طه بن محمد الأشمر⁽¹⁾ (1960/1380):

كان يقابل الشيخ بدر الدين الحسني فجر كل يوم ويأخذ منه تعليمات الثورة هو والمجاهد الجريء حسن الخراط.⁽²⁾ كانت دار الأشمر حمى لمن دخلها، لم يجرؤ فرنسي أن يدنو منها فلما كان عهد الاستقلال اقتحمت داره واقتيد إلى السجن أحد قادة الجهاد الإسلامي والنضال الوطني في سورية وفلسطين حجازي الأصل، استوطن أجداده قرية سيجر قرب حماه، وانتقل جده إلى دمشق، حيث ولد فيها، ثم انتقل إلى قرية الغارية الشرقية من محافظة حوران، فتعلّم في كتاتيبها، وتمرّس على الفروسيّة وركوب الخيل، وبدأت عليه ملامح النجدة والرغبة في إحقاق الحق، وتعرّف على مريد صوفيّ، فسلك الطريقة النقشبندية على الشيخ أمين الزملكاني الكردي بدمشق ولبس الخرقة الصوفيّة. واتصل بعلماء دمشق فدرس علم الحديث على محدّث الشام الشيخ بدر الدين الحسني ولأزمه، وتلقّى الفقه على الشيخ عبد القادر الشموط، اثنتي عشرة سنة. وعندما دخلت قوات الثورة العربيّة الكبرى دمشق في

(1) لترجمته انظر صفحات من جهاد الصوفية والزهاد ص 97 د. محمد أحمد درنيقة ، ذكريات الشيخ علي الطنطاوي ج 5 ص 242، سورية وقضية فلسطين ص 80 محمد عصمت شيخو، المجاهد الصامت الشيخ محمد الأشمر سيرته وجهاده إعداد لجنة الدراسات، تاريخ سورية السياسي والاجتماعي ج 1 محمد علي شاهين، أعلام الصحوة الإسلامية، محمد علي شاهين.

(2) الإسلام وحركات التحرر العربية، ص 171، تاريخ علماء دمشق، ج 1، ص 481.

1918/9/30 كان في استقبالها مع رفيقه المجاهد أحمد مريود ابتهاجاً بتحرير سوريا من تسلط القوميين الأتراك، وفي يوم ميسلون خرج مع المجاهدين فأبلى البلاء الحسن، ثم التجأ إلى حوران بعد دخول قوات (الجنرال غورو) وأخذ يعيد تنظيم العمل الجهادي في دمشق، وبعد عودة الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ علي الدقر من جولتهما في المدن السوريّة، كلفه شيخه الحسني بأن يخرج إلى الغوطة ثائراً، وأن يعمل على جمع رجال الثورة فيها وتوحيد كلمتهم ووضع حدّ لخلافاتهم، ومنع التعديّات على الناس بالقوّة فحاض معاركه بين عامي (1925 – 1927) وقاد المجاهدين في منطقة الغوطة، وأخذ يشنّ الغارات على المستعمرين الفرنسيين، وكانت أشهر معاركه: فكّ الحصار عن جبل الدروز في المسيفرة،⁽¹⁾ التي أشار إليها سلطان باشا الأطرش في مذكراته، ومعركة يلدا في الغوطة، ومعركة بستان باكير قرب حي الميدان بدمشق، ومعركة بستان البندقية بين حي الميدان وكفر سوسة، ومعركة منذنة الشحم بدمشق، ومعركة جسر تورا على طريق دوما، ومعركة حي الميدان، حيث وقف مائة من المجاهدين بقيادته في وجه وحدات عسكرية مدجّجة بأحدث الأسلحة، كما قام الأشمر ورفاقه بتدمير خطوط السكك الحديدية التي يستخدمها الفرنسيون، وتقطيع أسلاك الاتصالات الهاتفية والبرقية، ومطاردة الخونة والجواسيس وتقديمهم لمحكمة الثورة؛ عندما سيطر الفرنسيون على الغوطة لجأ إلى حوران، واستقرّ في قرية داعل، فلما علم الفرنسيون بوجوده فيها سيّروا حملة عسكرية تؤيّد بها الطائرات لاعتقاله، لكنّه استطاع كسر الطوق والخروج من القرية ممتطياً فرسه، تحت قصف

⁽¹⁾ قرية في حوران تابعة لمحافظة ريف دمشق أنذعات.

الطيران وعبور نهر اليرموك، واستقرّ في واحة الأزرق، وسمح له الملك عبد الله بالإقامة في بلدة ناعور قرب عمّان فمكث فيها ثلاث سنوات، وخلال إقامته في الأردن شكّل فرقة عسكرية قوامها ستمائة مقاتل، كانت تتخذ مدينة درعا مركزاً لعملياتها الهجومية عبر الحدود الأردنية؛ وزار القدس ولقي الحاج أمين الحسيني، وعندما صدر العفو عنه سنة 1931/1350 عاد إلى دمشق، فأقام فيها يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويصلح ذات البين، ويشعل في الشباب السوري روح التضحية والفداء. عارض قانون الطوائف الذي كانت حكومة جميل مردم على وشك إصداره تحت ضغط السلطات الفرنسية، وقاد مظاهرة شعبية اشترك فيها الشيخ كامل القصاب، والشيخ بهجت البيطار، وكان الطلاب وعلى رأسهم الشيخ علي الطنطاوي يهتفون: ديننا، ديننا، لا نرضى به بديلاً؛ حتى ألغي هذا القانون الذي كان بمثابة (الظهير البربري) الذي فرضه المستعمرون في شمال أفريقيا.⁽¹⁾ واعترض على رعاية الدولة حفلات المجون، ونظّم اجتماعاً حاشداً في جامع تنكز لأجل هذا الغرض، حتى اضطرت الحكومة إلى إلغاء الحفل المزمع إقامته. وعندما صدر الأمر باعتقاله استقبل في مضافته سبعة ضباط فأبلغوه على لسان رئيس الجمهورية شكري القوتلي، ورئيس وزرائه سعد الله الجابري، أن في ذلك إطفاءً لفتنة يقف وراءها الفرنسيون بهدف عرقلة الجهود المبذولة للتوصل إلى ممارسة الاستقلال بشكل كامل، فنفّذ القرار حقناً للدماء، ولم ينتصر لنفسه، وحذّر إخوانه من الفتنة، وتوجّه إلى جزيرة أرواد مع سجنائه

⁽¹⁾ ويكيبيديا الموسوعة الحرة

<http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF>

طواعية، فأقام فيها ثلاثين يوماً⁽¹⁾. فلما كان عهد الاستقلال، وكان رئيس الوزراء سعد الله الجابري، أمر باقتحام دار الشيخ الأشمر، وبسحبه منها إلى السجن، وعلّق الطنطاوي رحمه الله على الحادث بقوله: نحن نخوض المعركة، وغيرنا يأخذ المغنم. وعندما اندلعت ثورة 1936/1355 في فلسطين هبّ لنجدة إخوانه المجاهدين، ومعه القائد سعيد العاص، وكانت منطقة نشاطه مثلث نابلس، وخاصة منطقة طولكرم، وكان قائد المفزة الشاميّة، إلى جانب المفزة العراقيّة والمفزة الدرزيّة، في معركة آب 1936 التي قادها المناضل فوزي القاوقجي، ومنير الرّيس؛ ومن أشهر معاركه في فلسطين: معركة بلعا، ومعركة جبع، ومعركة بيت مرين؛ وعندما أثمرت جهود الملوك والأمراء العرب عن موافقة الهيئة العربيّة العليا في 1936/10/11 على إنهاء الإضراب العام في الأراضي الفلسطينيّة، سلّم الأشمر أسلحة رجاله إلى الحاج أمين الحسيني، وعاد إلى الأراضي السوريّة. وعندما ظهرت نوايا الفرنسيين بضرب دمشق عام 1945 أحبط محاولة تجنيد شركس القنيطرة، وأتوا مجاهدين للدفاع عنها وحمايتها، فلما ضرب الفرنسيّون المجلس النيابي السوري، وقصفوا الأحياء، أقام سلطة شعبية في غياب الحكومة، فبسط الأمن، وضرب على أيدي اللصوص، وحمل الأسواق ومخازن الغلال، من أعمال النهب، وقام بتوزيع المجاهدين على أطراف المدينة لحمايتها، وردّ على العدوان. وأمضى بقية عمره مجاهداً مناضلاً، غير عابئ بالمناصب السياسيّة والمكاسب الماديّة، ساعياً لرأب الصدع، ورصّ الصفوف؛ وعندما دعي لزيارة الصين والاتحاد السوفييتي، لبّى

⁽¹⁾ www.syriacaffe.com/vb/archive/index.php/t-12516.html

الزيارة التي استغرقت ستة أشهر، تفقد خلالها أحوال المسلمين، ومنح جائزة ستالين العالمية للسلام بين الشعوب، وتقلد وسامها في دمشق يوم 1955/3/17 ولم تجد محاولة الشيوعيين السوريين استغلال شعبية الأشمر من خلال هذه الجائزة.⁽¹⁾

3- مفتي الشام محمد أبي اليسر بن محمد عابدين الحسيني الدمشقي:

مفتي الجمهورية العربية السورية (1307 هـ = 1889 - 1401 هـ / 1981م) الطبيب والفقير والمؤرخ والمجاهد.⁽²⁾ وأخذ علومه الشرعية عن عدد من علماء دمشق، ثم دخل كلية الطب في الجامعة السورية وتخرج منها طبيباً ومارس مهنة الطب مدة ثلاثين عاماً ثم عين مفتياً للجمهورية العربية السورية بعد الشيخ محمد شكري الأسطواني.

4- الشيخ أحمد الحارون (ت 1962م):⁽³⁾

العارف بالله، العالم الرباني والصوفي المولّد كان مراقباً لله تعالى في كل حركاته وسكناته، ومن علماء الصوفية المناضلين (ت 1981م) الذي كان يحمل المال والسلاح والدواء للمجاهدين ليلاً⁽⁴⁾ نظم نفسه في سلك التصوف، وقد انتظم في هذا السلك جل علماء المسلمين، وفي الفترة التي عاشها الشيخ أحمد يندر أن تجد واحداً من شيوخه فضلاً عن أقرانه خارج هذا المنحى...

⁽¹⁾ وانظر كذلك محمد الأشمر /wapedia.mobi/ar/.

⁽²⁾ <http://www.darbuna.net/beacons/text.php?CID=3&ID=938>.

⁽³⁾ إمام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي، ص 177.

⁽⁴⁾ تاريخ علماء دمشق، ج 2، ص 969.

وهو المجاهد في سبيل الله الذي سجل أنصع صفحات الجهاد ضد المحتل الغاصب، هكذا كان التصوف، وهكذا فهمه الشيخ حارون جهاداً وتربيةً وتهذيباً وعملاً صالحاً وكسباً لقوته بعرق جبينه، تعرف على ثلة طيبة من مشايخ دمشق أمثال: المحدث الحافظ بدر الدين الحسني، والشيخ عبد المحسن الأسطواني والشيخ أمين تكرיתי، والشيخ عبد المحسن التغلبي، والشيخ أمين كفتارو، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ أمين سويد، والشيخ محمود أبو الشامات.

جهاده: يصنف الحارون مع المجاهدين في سبيل الله، جاهد بماله ونفسه وفكره ودعوته كما جاهد باعتباره قدوة للسالكين، ولم يكتف بالحث على جهاد الفرنسيين بل حمل السلاح بنفسه، وتشهد له بقاع غوطة دمشق الغناء مقاتلاً عنيداً وبطلاً صنديداً، وشارك في قطع الإمدادات عن الفرنسيين بنسف طريق دمشق بيروت، واستطاع مرة أن ينسف الخط الحديدي بين دمرّ والفيجة مع أبناء عكا. وكان يجمع التبرعات للثوار يمدّهم ويمدّ بها عائلاتهم وكم من موقف عظيم له مع عائلات المجاهدين والشهداء يذكرنا بقول المصطفى (صلى الله عليه وسلم): «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا». ومن الجدير بالذكر أنه خدم في الجيش العثماني (الجنديّة الإلزامية) سنة 1917 وأحبه الجنود، وكان يعرف بينهم بـ(خجا أفندي) لحرصه على نشر الدعوة في صفوفهم. كما شارك في

القتال الفعلي في فلسطين مع العثمانيين، ومع نهاية الحرب عاد لجهاد النفس مع معتزك الحياة.⁽¹⁾

5- الشيخ علي الدقر⁽²⁾ (ت 1943م):

ولد في دمشق عام 1294 هجرية - 1877م «الرجل الذي هز دمشق من أربعين سنة لم تعرف مثلها من مثني سنة، فصرخ في أرجائها صرخة الإيمان، فتجاوبت أصدائها في أقطار الشام، واستجاب لها الناس يعودون إلى دين الله أفواجا»⁽³⁾ صاحب المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني، وكان من أحب تلاميذه إليه، وأقربهم منه، وقرأ عليه الكتب الخمسة، كما قرأ على غيره من علماء الشام كالشيخ أمين سويد، ما جعله عالماً فقيهاً يشار إليه بالبنان. «ولكنه أعطي من التوفيق في العمل، والعمق في الأثر، ما لم يعط مثله الشيخ بدر الدين ولا غيره من مشايخ الشام».⁽⁴⁾

وقد جمع الشيخ بين العلم والعمل، وصفه الطنطاوي «هو علامة الشام.. بل هو في الشام علم الأعلام».

والشيخ علي الدقر هو صاحب أضخم نهضة علمية في بلاد الشام في القرن العشرين الميلادي. وسبب هذه النهضة التي دُعيت بنهضة العلماء،

⁽¹⁾ <http://www.islamsyria.net/Details.php?QType=7&Id=73> د. محمد فتحي

راشد الحريري.

⁽²⁾ الإسلام وحركات التحرر العربية، ص 147، تاريخ علماء دمشق، ج 2، ص 587.

⁽³⁾ رجال من التاريخ ص 387.

⁽⁴⁾ رجال من التاريخ ص 387.

الجمعية الغراء⁽¹⁾: تأسست عام 1343هـ - 1924م وكان لهذه الجمعية آثار في النهضة العلمية في بلاد الشام،...⁽²⁾ «لقد أثمرت - الجمعية الغراء - خيراً كثيراً، وخرّجت علماء ودعاة، وأحيا بها الله أرض حوران والبلقاء - الأردن»⁽³⁾ بل خرّجت مئات الدعاة، والعلماء، والخطباء، والأدباء، والوعاظ، والمعلمين، والمدرّسين، وأساتذة الجامعات والمفكرين،...منهم الشيخ حسن حبنكة (العلامة المجاهد المربي) والشيخ عبد الوهاب الحافظ (دبس وزيت) والشيخ نايف عباس (علامة التاريخ والفرائض) والشيخ أحمد وعبد الغني الدقر (الأديب، النحوي، الفقيه، المحدث) والشيخ عبد الكريم الرفاعي (العالم

⁽¹⁾ <http://www.almarfaa.net/?p=152> باسل الرفاعي باحث في تاريخ سورية الحديث.

⁽²⁾ ذكريات علي الطنطاوي، علي الطنطاوي، ط1، دار المنار، جدة-السعودية، ج1، ص168 بتصرف.

⁽³⁾ من علماء الأردن الذين تلقوا العلم على يدي الشيخ علي الدقر - والذين كان لهم الدور الأكبر في نشر العلوم الشرعية وتوعية الناس والذين ما زال تلامذتهم على نهجهم الشيخ علي السلطان القضاة وأبنائهم علماء معروفون وعلى رأسهم سماحة الشيخ نوح، مفتي الأردن ، والشيخ محمد سعيد الكردي، خليفة الشيخ الهاشمي رأس الشاذلية في الأردن ، وولده الشيخ إسماعيل وكاتب هذه الصفحات، ومن أشهر تلاميذه "امام الفكر التربوي أ.د: ماجد عرسان الكيلاني صاحب مدرسة الإصلاح والتجديد وذو المؤلفات القيمة ، والحائز على جائزة الفارابي الجائزة العالمية 2008م .

أنظر <http://majles.alukah.net/showthread.php?t=19274> . والشيخ محمد الصمادي مفتي محافظة جرش، والشيخ بركات الخطيب مفتي محافظة إربد، والشيخ سليمان المصري ، والشيخ يوسف العتوم وهو من المعمرين وما زال على قيد الحياة، نفع الله به.الخ.

الرباني) والشيخ أحمد منصور المقداد (الشافعي الصغير) والأستاذ محمد الدقر والشيخ خالد الجبائي (سيبويه الصغير) والشيخ عبد الرؤوف أبو طوق (الخطيب المفوّه) والدكتور الشيخ محمد أديب الصالح والشيخ عبد الرحمن الزعبي الطيبي (المفسّر والمحدّث) والدكتور محمد خير عرقسوسي والشيخ عز الدين الحايك . والشيخ عبد الوهاب الصلاحي والشيخ محمد كامل الخطيب. والشيخ محمد السيد. والشيخ عبد الله الراشدي والشيخ محمد علي المصري والشيخ عبد الرحمن بركات والدكتور فتحي النحلاوي. طبيب المعهد وكثير من علماء حوران والأردن.

جهاده: عن دور المشايخ عامة، والشيخ بدر والشيخ علي الدقر خاصة. قال: «الطنطاوي وأنا أحبّ أن أعرض صفحة مطوية من تاريخ الشيخ بدر الدين،⁽¹⁾ هي رحلته في سنة 1924 مع الشيخ علي الدقر، والشيخ هاشم الخطيب، من دمشق إلى دوما، إلى النّبك، إلى حمص، إلى حماة، إلى حلب، هذه الرحلة التي طافوا فيها بلاد الشام (سورية) كلها، وكانوا كلما وصلوا بلدة أو قرية، خرج أهلها على بكرة أبيهم، لاستقبالهم بالأهازيج والمواكب، ثم ساروا وراءهم إلى المسجد، فتكلموا فيه ووعظوا وحمّسوا، وأثاروا العزّة الإسلامية في النفوس، وذكرّوا بالمجد الغابر، وحثّوا على الجهاد لإعلاء كلمة الله، فكانت هذه الرحلة هي العامل الأول والمباشر لقيام الثورة السورية التي امتدّت سنتين، وأذهلت ببطولتها أهل الأرض والثورة.. قد قامت في الغوطة - غوطة دمشق... وقد بدأت الثورة في الغوطة عقب عودة المشايخ من

(1) الطنطاوي، علي، رجال من التاريخ، ط8، 1990م، دار المنارة، جده، ص 381 .

حلب، فقد خطب الشيخ علي الدقر في مسجده (مسجد السنانية) بدمشق⁽¹⁾ وكان مما قال: يا إخواننا: اللصّ دخل الدار، وهو يطلب منكم ثلاثة أشياء: دينكم، ومالككم، وعرضكم ولما سئل الشيخ: من هو هذا اللص يا شيخنا؟ أجاب: إنه فرنسا وعرف الفرنسيون المستعمرون دور الشيخ علي الدقر وتلاميذه في اندلاع الثورة، فأحرقوا مقرّ الجمعية الغراء، وجامع تنكز معاً، قبيل جلائهم عن سورية، انتقاماً وإجراماً.

6- الشيخ الشهيد عز الدين الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الجزائري:⁽²⁾

كان بمثابة منزل الرعب في قلوب الفرنسيين في (منطقة الغوطة السورية)⁽³⁾ هو نجل السيد الأمير محيي الدين الحسيني الجزائري، وحفيد الأمير عبد القادر الجزائري، ولد عام 1319، وتلقى تعليمه في مدارس دمشق، ثم أوفده أبوه إلى الكلية الإسلامية (الكلية العثمانية سابقاً) في بيروت، نفي إلى بورصة أبان الاتحاديين، ولما عادت الحرب أوزارها عادت مع أسرته إلى بيروت، ودرس هناك في مدرسة (اللايك)، ولما اندلع لهيب الثورة السورية كان في طليعة من لبي النداء، بالرغم من انشغاله بالثورة والدفاع عن البلاد كان له شغف بالشعر والأدب، نظم العديد من المقطوعات

⁽¹⁾ نشرته جريدة (الأحرار) في بيروت، في العدد 678 الصادر في الثاني من شهر شعبان 1354هـ.

<http://cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=12517&page=2#p67308>

⁽²⁾ تاريخ الثورة السورية، محي الدين السفرجلاني. دمشق 1961 دار اليقظة العربية، ص 619.

⁽³⁾ <http://www.alnoha.com/visotor2/9ofeeyah2.htm>

الشعرية، كان له دور في الثورة السورية ضد الفرنسيين، وكان يرأس فصيلا كان جلّه من المغاربة، ومرت به أيام مرة، وسجن، وبعد خروجه استعد للجهاد، وجعل مزرعته في منطقة حوش بلاس القريبة من دمشق مركزا لتدريب وتجمع المجاهدين وكان على علاقته بأبطال الجهاد السوري كسلطان باشا الأطرش، وعادل أرسلان، وعبد الرحمن الشهبندر، وكان على علاقته بالشهيد سعيد العاص الذي روت دماؤه أرض فلسطين عام 1936، إذ كانا أخوين يجمعهما حب الجهاد ومقارعة المحتل، وأشهر المعارك التي شارك فيها معركة اللجاة والصفاء ومعارك غوطة دمشق، وجبل العرب، ومعارك عتيبة، والقاسمية. وأما المعركة الكبرى بالنسبة للأمير عز الدين معركة زور بالا في غوطة دمشق التي أبلى فيها رجاله بلاء حسنا ضد القوات الفرنسية، ودحر قوات العدو ثم دخل دمشق بعدها لإشعال الثورة هناك، وانتهت حياة المجاهد بمعركة عين صاحب في الغوطة، فبعد أن نفذ سلاحه دعوته للاستسلام، فما كان منه إلا أن أفرغ آخر طلقة بجسد الجندي الذي أمره بالاستسلام وهو ينادي ويصرخ مع جراحه: الله أكبر، تحيا سورية، تحيا الجزائر، فسقط الأمير من جراحة بعد أن غطي انسحاب من بقي معه من المجاهدين، فأمسكوه حيا، وأجهزوا عليه. وهكذا انتهت حياة المجاهد في ميادين القتال.

7- العلامة محمد بن الهاشمي التلمساني:⁽¹⁾

ولد يوم السبت 22 شوال 1298هـ في مدينة سبدة التابعة لمدينة تلمسان، وهي من أشهر المدن الجزائرية. من أبوين صالحين، كلاهما من آل

(1) الأميرة بديعة الحسني الجزائري "طائر في سماء المجد" ط 2007/1: بتصرف.

بيت النبوة، يرجع نسبهما إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، وكان والده من علمائها وقاضياً فيها"، هاجر مع شيخه محمد بن يلس في 20 رمضان سنة 1329هـ عن طريق طنجة ومرسيليا، إلى بلاد الشام فارا من ظلم الاستعمار الفرنسي، الذي منع الشعب الجزائري من حضور حلقات العلماء وتوجيههم... ومن أشهرهم المحدث بدر الدين الحسني.

أما من ناحية التصوف فقد أذن له شيخه محمد بن يلس بالورد العام لما رأى من تفوقه على تلامذته، من حيث العلم والمعرفة والنصح لهم وخدمتهم. ولما قدم المرشد الكبير أحمد بن مصطفى العلوي أذن لمحمد بن الهاشمي بالورد الخاص ، تلقين الاسم الأعظم , والإرشاد العام، وكان رحمه الله تعالى يهتم بأحوال المسلمين ويتألم لما يصيبهم، وكان يحضر جمعية العلماء التي قام في الجامع الأموي، يبحث في أمور المسلمين ويحذر من تفرقتهم، وقد طبع رسالة تبين سبب التفرقة وضررها، وفائدة الاجتماع على الله والاعتصام بحبل الله سماها القول الفصل القويم في بيان المراد من وصية الحكيم.

وكان رحمه الله يكره الاستعمار بكل أساليبه، ويبحث في توجيهه عن مدى صلة الحوادث مع الاستعمار وكيفية الخلاص من ذلك. ولما ندبت الحكومة الشعب إلى التدريب على الرماية، ونظمت المقاومة الشعبية، سارع الشيخ لتسجيل اسمه بالمقاومة الشعبية، فكان يتدرب على أنواع الأسلحة مع ضعف جسمه ونحوه وكبر سنه. وبهذا ضرب للشعب المثل الأعلى لقوة الإيمان والعقيدة والجهاد في سبيل الله.

وقد أخذ التصوف عن الهاشمي كثير من العلماء وغيرهم لا يعلم عددهم إلا الله.

8- الفقيه الأديب الشيخ علي الطنطاوي:

الأديب والقاضي والداعية والمذيع المعروف ولد في دمشق عام 1909 وتوفي في جدة عام 1999م، ولد من أسرة علم ودين، وللشيخ علي تاريخ حافل في نضاله وجهاده من أجل بلاده فهو من خريجي مدرسة عنبر المعروفة واشتهر بخطبه الحماسية ضد الفرنسيين وحلقاته الإذاعية المميزة في إذاعة دمشق منذ ثلاثينات القرن المنصرم.⁽¹⁾ تفتح وعيه على قنابل الحلفاء تلك عاصمة الأمويين وفلول الأتراك تغادر المدينة. كان الطنطاوي وقتها مازال تلميذا في المدرسة لكن وعيه كان يسبق سنه، فعندما أعلن في مدرسته عن المشاركة في مسيرة لاستقبال المفوض السامي الجديد الجنرال ويفان الذي حل محل الجنرال غورو، رفض ذلك وألقى خطبة حماسية، قال فيها: إن الفرنسيين أعداء ديننا ووطننا ولا يجوز أن نخرج لاستقبال زعيمهم وكيف تتسى ما قاله غورو: ها نحن عدنا يا صلاح الدين.. الآن انتهت الحروب الصليبية.

أصبح الاحتلال الفرنسي واقعا جديدا في سوريا، وكما حدث في كل بقاع العالم الإسلامي كان العلماء رأس الحربة في مواجهة المحتل وتولى الشيخ بدر الدين الحسيني شيخ العلماء في مدن سوريا قيادة ثورة العلماء الذين جابوا البلاد يحرضون ضد المستعمر، فخرجت الثورة من غوطة دمشق وكانت المظاهرات تخرج من الجامع الأموي عقب صلاة الجمعة فيتصدى لها جنود الاحتلال بخراطيم المياه ثم بالرصاص، والطنطاوي في قلب من تلك الأحداث.

(1) <http://okbah.cc/ok>

في أحد الأيام كان على موعد لصلاة الجمعة في مسجد القصب في دمشق فقال له أصحابه: إن المسجد قد احتشد فيه جمهور من الموالين للفرنسيين واستعدوا له من أيام وأعدوا خطباءهم فرأينا أنهم لا يقوى لهم غيرك، فحاول الاعتذار فقطعوا عليه طريقه حين قالوا له إن هذا قرار الكتلة كان مقاومو الاحتلال ينضوون تحت لواء تنظيم يسمى الكتلة الوطنية وكان الطنطاوي عضوا فيها فذهب معهم وكان له صوت جهور، فقام على السدة مما يلي باب العمارة ونادى: إِيَّ إِلِيَّ عباد الله، وكان نداء غير مألوف وقتها، ثم صار ذلك شعاراً له كلما خطب، فلما التفوا حوله بدأ ببیت شوقي:

وإذا أتونا بالصفوف كثيرة جئنا بصف واحد لن يكسرا

وأشار إلى صفوفهم المرصوفة وسط المسجد، وإلى صف إخوانه القليل، ثم راح يتحدث على وترين لهما صدى في الناس هما الدين والاستقلال، فلاقت كلماته استحساناً في نفوس الحاضرين، وأفسدت على الآخرين أمرهم، وصرفت الناس عنهم. ولما خرج تبعه الجمهور، وكانت مظاهرة للوطن لا عليه.

انخرط في العمل الصحفي الذي كان يشهد معارك فكرية وسجلات أدبية حامية الوطيس حول أفكار التقدم والنهضة والإسلام والاستعمار وغيرها، وكان طبيعياً أن يأخذ الطنطاوي موقعه في صفوف الذائدين عن حياض الإسلام المناوئين للاستعمار، وظل الطنطاوي في موقعه لم يتراجع أو يتململ أو يشكو تكالب الأعداء أو قلة الإمكانيات فكان الفارس الذي لم يؤت من ثغره⁽¹⁾.

(1) أ. أحمد علام <http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=24045>

9- الشهيد الشيخ عز الدين القسّام (1882-1935م):

رائد الكفاح في فلسطين في العصر الحديث وهو: «شيخ الزاوية الشاذلية في جبلّة الأدهمية»⁽¹⁾ والده الشيخ عبد القادر القسّام من المشتغلين بالتصوف. أوفده والده إلى مصر فدخل الأزهر الشريف، ودرس على فطاحل العلماء والمصلحين فيه أمثال: العالم محمد أحمد الطوخي، وقد تجلّت مواهبه فكان من المبرزين في العلوم. وبعد أن تخرج في الأزهر عاد إلى بلده وبدأ دعوته في سبيل الدين والوطن، بما عرف عنه من تقان وتضحية ونقمة وكره للمستعمرين، وقد التف الناس حوله ليقينهم بتقواه وصلاحه وإخلاصه وتجرده، فوحد القلوب وشحذ الهمم وقضى على الفساد، ونشر الإصلاح الديني والاجتماعي، وصقل نفوس المواطنين وأثار حميتهم، وبثّ فيهم روح الوطنية والجهاد.

ومن نتاج دعاياته أن اندلعت نيران الثورة في منطقة صهيون وذلك عام 1920م فكان في طليعة المجاهدين، وقد عرف الفرنسيون ما له من نفوذ ديني على المجتمع فحكم عليه بالإعدام، ولما انتهت الثورة على الشكل المعروف أثر النزوح إلى فلسطين فوجد فيها ميداناً جديداً، واستقر في مدينة حيفا.

كان في فلسطين كعده في سورية، فإنه لم يرضن بماله وصحته ووقته في سبيل دينه، وكانت مواقفه في وجه الصهيونية والاستعمار مضرب المثل،

(1) الأعلام الشرقية في المائة الرابعة الهجرية، زكي محمد مجاهد. دار الطباعة المصرية الحديثة 1949، ط1، ج2، ص139. وسميت «جبلّة الأدهمية» نسبة إلى الضريح الموجود فيها لقطب الزاهدين إبراهيم بن أدهم.

وقد ظل في حيفا زهاء خمسة عشر عاماً يروض النفوس على طاعة الله، وكان خطيباً وإماماً في جامع الاستقلال، وهو الذي سعى في تشييده، وكان رئيساً لجمعية الشبان المسلمين، وقد جمع المال والسلاح لنجدة المجاهدين في طرابلس الغرب أثناء حملة الإيطاليين عليها.

بلغ وقوفه ضد الصهيونيين والإنكليز في فلسطين ذروته، فقد خرج عام 1935م يقود المجاهدين الذين تخرجوا من مدرسته وبايعوه على الموت والشهادة في سبيل الله، ورابط في أحراش كفر دان⁽¹⁾ وبرقين⁽²⁾ ثم إلى جبال البارد وكفر قوت، ومنها إلى أحراش يعبد قرب جنين، وخاض المعركة بإيمان وبطولة نادرة، واحتدمت رحاها سحابة اليوم كله متمسكاً بقوله تعالى: (ومن يولّه يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) وأبلى بلاء عظيماً واستمات ورجاله في المقاومة، حتى دعاه الله إلى منازلته الخالدة فخرّ شهيداً في ساحة المجد والشرف، وكتب له الخلود في 20 تشرين الثاني (نوفمبر) 1935م. وكان يردد إذ ذاك (لن نستسلم. هذا جهاد في سبيل الله والوطن. يا رفاقي موتوا شهداء). واستشهد إلى جانبه الشيخ السيد الحنفي المصري، وهو من مصر، والشيخ يوسف الزبادي من بلدة الديب، وأسر في هذه المعركة أربعة مجاهدين هم: الشيخ حسن الباير من بوركين، والشيخ عرابي من قبلان

(1) كفر دان قرية فلسطينية تابعة لمحافظة جنين. وهي من قرى الضفة الغربية وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة جنين، وتبعد عنها مسافة 4 كم، وترتفع عن سطح البحر 160م. وقد سقطت تحت الاحتلال الإسرائيلي في حرب 1967.

(2) يقع حي واد برقين أو "بركين" إلى الغرب من مدينة جنين على بعد 2 كيلو متر تقريباً وملاصق للجهة الغربية من مخيم جنين.

قضاء نابلس، والشيخ أحمد الخطيب من طولكرم، ومحمد يوسف من نابلس، وقد حكموا بالإعدام، ثم أنزل الحكم إلى السجن المؤبد، وقضوا فيه إحدى عشرة سنة. ونسج الفلسطينيون على منواله إلى قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية. ويقول يوجين روغان «الحركة الشعبية الثورية التي قادها عز الدين القسام الذي لم يكن يرى أسلوباً لمواجهة الاستعمار البريطاني وكذا العصابات الصهيونية المتزايدة القوة سوى الثورة المسلحة والمقاومة. وكان أسلوب ونهج القسام الثوري هو الذي أقض مضاجع الإنجليز ودفعهم إلى ضرب الحركة القسامية بوحشية بالغة وإعدام قادتها».⁽¹⁾

لقد ضرب أروع صفحة في التضحية، وهو أول مجاهد رفع السلاح في وجه الاستعمار والصهيونية في فلسطين، ولم يترك في فلسطين بلداً أو قرية إلا بثَّ فيها روح الجهاد والدين، وقد انتشرت دعوته فبثَّ رجاله في أقطار مختلفة من العالم لجمع المال والسلاح والأنصار. وقد أطلق عليه لقب أمير المجاهدين الفلسطينيين دون منازع، وأطلق اسمه على مدرسة وشارع في مدينة جبلة مسقط رأسه، وكان لمنعاه أعظم الأسي في القلوب لمكانته الدينية البارزة ومواهبه الفذة.⁽²⁾

(1) يوجين روغان وآفي شلايم حرب فلسطين إعادة كتابة تاريخ حرب 1948 ط1-2001م، الناشر: كامبردج يونيفيرستي برس- كامبردج- المملكة المتحدة حرب فلسطين إعادة كتابة تاريخ حرب 1948 ، يدعو الكتاب إلى ضرورة قيام مدرسة تأريخ فلسطيني وعربي جديد توازي مدرسة التأريخ الإسرائيلي الجديد وتقوم بغربلة المقولات العربية والفلسطينية التقليدية وإعادة تركيب الأحداث والرؤى بمنهج نقدي غير تبريري.
(2) رواء البخاري في باب الجهاد.

وكم تغنى الأدباء بأمجاده وخلدوا ذكره حتى إن قصة جهاده أصبحت تعلم للأجيال ليكون المثل والقوة كما في المقال الأدبي الذي كتبه الدكتور خالد الكركي: ها أنت تنهض في سواعدهم راية لا تتكسر لها سارية وفرحاً بالتحدي الجديد لا ينضب وصوتاً يتردد في أرض فلسطين كلها يصعد من جامع الاستقلال في حيفا: الله أكبر... الله أكبر... ويعلن في الناس نداءك يوم انطلقت وصحبك إلى أحراش يعبد وانتم تعلنون إن السيف رهان الأمة الأخير وتجعلون نداء حربنا العادلة ضد الصهاينة صوتاً لا يعلو عليه صوت ولا تتردد في إعادة صدها حجرة ولا صخرة ولا رمح ولا رصاصة.

هذه فلسطين يا مولاي الشيخ تدخل زمن الثورة ويخرج أبناءها من تجربة النار والدم أكثر إصرار على العودة إلى الجذور وإلى صفاء الينابيع التي رويتم من عطائها الثر تجربتكم الفذة في الأعداد للمواجهة في لحظة المواجهة ذاتها مع الأعداء المستعمرين والمستوطنين ويوم ألان زمن الوجد والكبرياء بين تلك اللحظة ولحظات تاريخية كانت ميسلون والقسطل والكرامة وتشيرين وها هي تمتد إلى المواجهات التاريخية العظيمة في غزة ونابلس وحلحول وبيت أمر ورام الله وقباطية ويمتد خيط الدم الزكي من فؤاد حجازي ومحمد مجوم وعطا الزير إلى سواعد الفتية الذين يقولون للاحتلال: لا والذين تطلع من سواعدهم رايات جديدة كلما هشم النازيون منها ساعداً ورسموا في الإعلام العالمي صورة جيشهم الوحشية وكشفوا عن لا أخلاقية وجودهم وعنصريته ودعائم الآيلة للسقوط.

لقد امتد خداع الاستعمار القديم والجديد في أرضنا من بلفور وسايكس - بيكو إلى كامب ديفيد وظل اهلك ينسجون الراية تلو الراية وكم غدا الجرح

دربنا الذي نسير فيه إلى حريتنا ووجدتنا وكم صار الحزن غضباً عربياً
عاصفاً في الجزائر والبصرة وكم كتبنا يا مولاي عن شهداء امتنا وعن ينابيع
الصبر والصمود في قلوب أمهاتنا منذ زمن الخنساء إلى السيدة التي تمد أبناء
قرى فلسطين بالخبز والحجارة وتنادي بأعلى الصوت أن لا بقاء للغاصبين.
تصعد أنت إلى أحراش يعبد قبل ثلاث وخمسين سنة وها هم اليوم إليها
يصعدون ويظل نداؤك حياً في جوانحهم وهم يصدون هجمة الصهيونية
ويقاتلون حتى يطردوا غربانها من فلسطين كما طرد صلاح الدين علوج
الصلبيين وها هم وأعمارهم في أول الربيع يحملون أرواحهم على راحات من
زيتون وغضب ويتقدمون من الرؤيا والعالم كلى ينحني لهم ويتجاوزون وعر
الليل ويرفعون رايات امتنا في ذرى جبال فلسطين التي لا تستكين. إنهم
خيول طالعة من تاريخ دمنا ورفضنا لكل احتلال وظلم وها هم يطاردون
الأعداء ويحصنون القرى والمدن بالسواعد والمقاليع بل يحصنون الروح
العربية ضد اختراق الغزو للأرض والثقافة والحياة ويبدؤون كتابة جديدة
بالسيف والكبرياء .

يا شيخ الثورة انهض = ها قد طلعت شمس كبرى من حزن القدس
وغضب النهر

وامتدت راياتك بين جبال النار وبين البحر وتخضب بالدم الزيتون
واشتعل جمر الصبر

فانهض يا قنديل بلاد الشام = فهذا زمن الحجر العربي

وذي يعبد تنسج أحلام الفجر

ونجلس بين يديك ألان = ونقرأ في كفيك نشيد الجمر

ونمد الصبر إلى الرايات = ونسأل: يا مولانا ما البشرى قبل طلوع الفجر ؟
ويجيء الصوت عميقاً أن السر = في حلم ممتد بين الحجر وبين السيف
في قلب لا ينكسر امام أجيج النار وعند ضجيج النزف = في كف تلقي في
وجه الغاصب حجراً
تتبعها في الساحات اكف ألف
في طفل يحمل في عينيه وجه
القدس ويلغي من دفتره الخوف وكلمة قف.
هذا هو سُرَى قومك موعدهم الفجر عند أسوار القدس ومنذ أول السرى
وحتى لحظة الوصول نقرأ لروحك الفاتحة وعليك ألف تحية وسلام.⁽¹⁾
10- محمد سعيد الكردي⁽²⁾ (ت: 1972م):

من علماء الصوفية الذين كان لهم دور في حركات التحرر والإصلاح
المعاصر وهو من العلماء العاملين الذين تلقوا العلم على يد الشيخ علي الدقر
والشيخ بدر الدين الحسني، رأس الطريقة الشاذلية وناشرها في الأردن،
بإجازة العلامة المجاهد الشيخ محمد بن الهاشمي التلمساني، وأغلب شاذلية
الأردن انبتقوا من مدرسته، وهو داعية إسلامي كبير وجهه الشيخ علي الدقر
للدعوة في قرى حوران ثم انتقل إلى الأردن، وله باع طويل في الإصلاح

(1) عز الدين القسام يصعد إلى يعبد ، اللغة العربية: مهارات الاتصال، المرحلة الثانوية،
المستويان الثالث والرابع للفروع (الأدبي، العلمي، الشرعي، الإدارة المعلوماتية، التعليم
الصحي). قام على إعداده مجموعة من المؤلفين بإشراف لجنة توجيه. وزارة التربية
والتعليم، إدارة المناهج والكتب المدرسية، عمان، 2008.

(2) انظر العارف بالله الشيخ محمد سعيد الكردي، محمد نجاح النوباني وانظر ترجمته على
الانترنت <http://www.jo1jo.com/vb/showthread.php?t=65809>.

الاجتماعي في المجتمع الأردني، وهو خطيب مؤثر في السامعين، ومؤلف،⁽¹⁾ وشاعر، استقطب الناس وأرشدتهم وغير مسيرة حياتهم، وهو عالم مهيب، حث الناس على الدفاع عن ارض الأردن ومقاومة إسرائيل في حروبها فقام بواجبه تجاه هذه الحرب، فخطب بالناس وبين لهم أهمية الجهاد وحكمه وقيمة الشهيد عند الله، فأثار الحماس في الناس واستنهض الهمم فلجأ الناس ومريدوه للتدرب على استعمال السلاح وشارك تلاميذه بمعارك الأردن مع إسرائيل والتحقوا بقوافل المجاهدين، بعد استنهاض هممهم وحثهم على الجهاد، والاستشهاد في سبيل الله فربطوا على الثغور واستشهد بعضهم. في معركة الكرامة 1972م حيث استبسل الجيش الأردني في مقاومة الجيش الإسرائيلي، وكان الكثير من مريدي الشيخ الكردي في القوات المسلحة الأردنية" الجيش العربي، وكانوا يتمنون الشهادة في سبيل الله بعد التعبئة التي

⁽¹⁾ من مؤلفاته: فوائد الأذكار ومحبة العزيز الغفار الأذكار في الليل والنهار المأثورة عن النبي المختار رسالة التوحيد لمن أراد أن يدخل مقام التفريد عصمة الأنبياء التي خفيت على الأغبياء نشر الأقطار المحمدية في الديار الإسلامية الرسالة الروحية في الطريقة الهاشمية والمناجاة العلوية دوحة الإمداد في ذكر بعض كرامات أولياء الأكراد الدر الفريد لإحياء طريقة السيد الجنيد مولد الروح النبوية خير الخلائق الكلية ديوان القصائد الروحية في الأسرار الذاتية كما قام رضي الله عنه بتحقيق وطباعة بعض مؤلفات العارفين منها : شرح حزب البحر للقطب الجامع سيدي أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره شرحه الولي الشهير سيدي أحمد بن زروق الفاسي رضي الله عنه الشجرة النعمانية الماحقة للطائفة اليهودية رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات وكلاهما للشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله عنه البحر المديد في تفسير القرآن المجيد الجزء الأول والثاني للولي الشهير سيدي أحمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه للولي الشهير سيدي أحمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه.

عبأهم بها شيخهم الكردي، فكانوا في مقدمة الجيش الأردني وفي كتيبة المدفعية السادسة، يطلبون الشهادة مندفعين لها اشتياقا، يقصفون إسرائيل بمدافعهم ذاكرين الله حتى سميت كتبهم بكتيبة الكردي لكثرة مريديه في هذه الكتيبة العسكرية .

وكان للشيخ الكردي أثر كبير في تهيئة الناس وتعبئتهم وإرشادهم وتغيير مسار حياتهم نحو التزكية، وكان دوره ناطقا في إعداد العلماء، ومشاركتهم في الإفتاء العسكري، يحثون الجند ويوجهونهم نحو الشهادة. وكم كان يبكي فلسطين والوطن لما يشاهده من ظلم وجور وقتل ونهب وسلب. وللشيخ الكردي قصائد في ديوانه يدعو لنجدة فلسطين وتخليصها من براثن العدو الصهيوني:⁽¹⁾

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| القلب يخفق والعيون هوامل | منذ العصائب أضرمت نيرانها |
| يقضي النهار والليالي بحزنه | والعين تنعى بالبكا شبانها |
| مال السيوف الماضيات بمعزل | عن ذي الرقاب الطاغيات فانها |
| كادت تنادي في البقاع ببغية | بل كادت تملك للسواحل كلها |
| والناس في سهو ولهو يلعبوا | والأرض تنعى بالحقيقة أهلها |
| فلسطين نادت برفيع مقالة | والبيت يشكو والمحارم كلها |
| والطفل يصرخ يستغيث بمنجد | والثكلى تبكي من صميم فؤادها |

⁽¹⁾ ديوان القصائد الروحية في الأسرار الذاتية ، ط 1 ، 1962م، مطابع العودة، الأردن
أريد.

الله أكبر من للأرملة التي قامت بنادي القوم تندب بعلمها
قوموا انصروا دين الإله فاته أضحى حزينا في البقاع وغيرها
ترب الأراضي بالدماء تلطخت والقدس نادت يا حماة بلادها

ويقول في قصيدة أخرى يصف ما حلَّ ببلاد الإسلام:

فيا رباه ضاق الحال فينا من الأعدا وقل الناصرون
وضرُّ القوم في الأقطار سار فأدر كنا بكسار الصليب
فقد قتلوا رجال الدين طرا وكأسا قد سقونا فيه مرًا
ولم يبقوا بذى الأوطان حرا وحزب الله أضحى كالغريب

11- عبد الرحمن الشاغوري: (1)

جاهد الشيخ ضد الفرنسيين أيام الاحتلال وشارك في الثورة السورية وهو دون العشرين، وله قصيدة عصماء في الثورة والإضراب ألَّفها على مدرج جامعة دمشق أمام أعضاء الحكومة عام 1945 م وعمل في الغزل والنسيج وكافح وناضل من أجل حقوق العمال حتى انتخب رئيسا لاتحاد عمال النسيج في دمشق وعضوا في اتحاد نقابات العمال في سورية وفي اتحاد عمال العرب ونال من أجل جهاده ذلك شهادات تقديرية متعددة، وهو قدوة أهل العصر ومعتقد الناس لما عرف به من استقامة وتواضع وصبر

(1) لترجمته انظر كتاب "الشاغوري شاعر التصوف في القرن العشرين، رضوان محمد سعيد الكردي، ط1، دار الفجر، دمشق.

وحلم، ويدعو إلى تصوف مقيد بالكتاب والسنة بعيد عن خرافات أهل الجهل، وضلالات أهل الزندقة.

وهو يرى أن التصوف هو العمل بالكتاب والسنة وأن الصوفي هو عالم عمل بعلمه فورثه الله تعالى علم ما لم يعلم.

شارك الشاغوري في معركة ميسلون إلى جانب شيخه محمد بن الهاشمي التلمساني، فكان آية في العلم والأدب والهمة والتواضع، والتفاني في خدمة الناس وملاطفتهم، وتوجيههم وإرشادهم نحو السلوك الصوفي النقي عن الشوائب، أثر في الجيل أيما تأثير وكان الفضل له في توجيه العديد من علماء دمشق نحو طلب العلم فصدقت فراسته فيهم. توفي عام 2004م فترك فراغا في المدرسة الشاذلية إلا أنه ورث خلفاء علماء عاملين، وامتدت طريقته التي خلف فيها الشيخ الكردي إلى أصقاع المعمورة فوصلت إلى أمريكا وأستراليا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا وجنوب شرق آسيا.

أدب الجهاد عند الشاغوري شيخ الطريقة الشاذلية:

دعا الشاغوري في ديوانه إلى الوحدة ومقاومة الاحتلال، وثار ضد المستعمر الفرنسي وطالبه بالجلاء، كما تغنى بوحدة مصر وسوريا، ودافع عن العمال وشاركهم في إضرابهم، ورشحه تلاميذه للمشاركة في البرلمان السوري "مجلس الشعب" وأشار إلى ذلك كله في ديوانه فقال:

حطم القيد واتحد لا تبال وحدة العرب غاية الآمال
في اجتماع وفي اقتصاد وفي كل مجال في السلم أو في النضال

وهو متفائل بتحقيق الوحدة على الرغم من العوائق التي تعرضت لها وأرادت إحيائه [الخفيف]:

وحدة العرب وحدة تتجلى في نفوس الأخيار من قحطان
سوف تنمو رغم الحسود وتقوى لاجتلاب الخيرات للإنسان
وضعت أسسها الشام ومصر وهما ماضيان نحو العنان

وقد أستبشر هذا الأديب المناضل بيوم الجلاء، ورأى فيه عيداً للانطلاق
من أجل تحقيق تلك الوحدة الشاملة التي تلم الشمل العربي المشتت من جراء
الفعل الاستعماري الغاشم.

يوم الجلاء خلاصة الأعياد ذكراه تبهج كل أهل الضاد
يوم أغرُّ به لقد نلنا المنى بزوال الاستعمار والإفساد
يا شعب سوريا المناضل دائما ابشر وقيت مرارة الحساد
عيد أتى للانطلاق لوحدة عربية إن حققت بجهد
يا كل منطق لأشمل وحدة هلا استعدت مكانة الأجداد

صور البطولات العربية في ميسلون وجبل العرب... وفي كل بلدة
مجاهدة من بلادنا... ولذلك فقد راح يصور نضال الشعب العربي الأبى الذي
تصدى لأعدائه وأرغمهم على الجلاء عن أرضه، والرحيل عن تراب
وطنه...

سل ميسلون وأرضها عن شربها أصفى الدماء بأشرف استشهاده
والثورة السورية الحمراء هل جهلت مواقفها لدى الأشرار
كان التسليح عندها إيمانها بالله والحق المبين البادي
ولكم غدا الشعب المناضل مضربا ومطالبها بجلاء كل معادي
هيا ارحلوا يا غاصبين لأرضكم وذروا تراب المجد للأحفاد
هي أرضنا من قبل نشأة أصلكم قد شادها رتل من الأسياد

وهكذا، نتبين الملامح الأساسية لشخصية هذا الأديب الصوفي الوطني الذي كرّس أعماق القيم الإنسانية بفكره وسلوكه، فلم يكن صاحب نضال بلا جذور أو سباحات تأملية بلا هدف، وإنما كان مربيا عظيما على الصعيد النفسي الداخلي وعلى الصعيد الاجتماعي والقومي... وبذلك جسّد بحق خير مثال للصوفية الوطنية.⁽¹⁾

وما هو يسترجع انتصارات صلاح الدين في طرد فلول الصليبيين عن بيت المقدس ويبيشره باقتراب النصر على يد المقاومين:
يا صلاح الدين جاء الخلف ثائرا مستيقنا بالظفر
داعما ما قد بناه السلف ومبيدا ما أتى من خطر

⁽¹⁾ الشاغوري شاعر التصوف في القرن العشرين ، د. رضوان محمد سعيد الكردي، ط1، 2002م ، دار الفجر، دمشق ود. رثيفة ابوراس.

وهكذا نرى شاعرا ثائرا لا صوفيا مستكينا منعزلا في خلوته ونقرأ في شعر هذا الشيخ الصوفي ألفاظا غاية في الغيرة على الوطن والدعوة للتخلص من براثن الأعداء، ويدعو للجهاد وردعه عن البلاد الإسلامية بدعوة الوحدة في وجهه والقضاء عليه بكل السبل والوسائل وتحطيمه وإراقة دمه. وهذه مصطلحاته العسكرية والثورية تشهد له، مشاركته وإخوانه من الصوفية مقارنة الأعداء باستبسال منقطع النظير، فهذا نموذج الشيخ الصوفي في الجهاد والدفاع عن الأمة يسطر بقلمه ملحمة الخلود وأنشودة النصر.

12- محمد سعيد البرهاني:

شيخ الطريقة الشاذلية بدمشق (ت 1967 م) الذي حارب مع الثوار في معركة ميسلون.⁽¹⁾

13- محمد المكي بن الإمام محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني:

الإدريسي الحسني بفاس عام (1312هـ=1894م) انصرف منذ صغره إلى حياة الرجولة بإشارة من والده، فأتقن السباحة والرماية، وركوب الخيل، والصيد والضرب بالسيف.

وأقرأ شتى العلوم والفنون، وبخاصة الحديث الشريف رواية ودراية، والتصوف والفقه المالكي. وكان يُركّز على عنصر الشباب المسلم، ويؤجّجهم الوجهة الدينية الصحيحة، وقد أسّس لهذا الغرض عدداً من الجمعيات والمننديات الفكرية بهدف الإصلاح الديني ومكافحة قوى الاستعمار، فأسّس (رابطة شباب دمشق) وأصبح منزله قبلة للمواطنين المناضلين والعلماء والمتقنين المخلصين، واستطاع بإخلاصه وتفانيه في خدمة القضايا الدينية

(1) الأعلام، ج6، ص145.

والوطنية أن يُعزَّز مكانة العلماء، ويزيد من تأثيرهم الفكري الإصلاحي والاجتماعي والسياسي، ممَّا جعله محطَّ أنظار زعماء الأحزاب والقوى السياسية إذ أن أغلبهم كان يطلب دعمه ورضاه لما يتمتع به من نفوذ في الأوساط الوطنية والشعبية.

ساهم الكتاني مساهمة فعَّالة في الجهاد ضدَّ القوات الفرنسيَّة الغازية داعياً إلى الجهاد، ومساهمًا فيه مع إخوانه من الزعماء الوطنيين أمثال الشيخ محمد الأشمر، والشيخ حسن الخراط، وغيرهم من زعماء الثورة السوريين كما ساهم رحمه الله بإنشاء فرقة فدائية فلسطينية أسماها: شباب فلسطين من بعض تلاميذه وأتباعه الذين تكاثروا في بلاد الشام من فلسطينيين وسوريين وأردنيين، وذلك بالتنسيق مع المجاهد الحاج أمين الحسيني، والحاج فرحان السعدي منذ عام 1936م، وقد قاموا بأعمال جريئة ضدَّ القوات البريطانية والصهيونية في فلسطين المحتلة، واستمرَّ ذلك لسنوات عدَّة، وكان مُدركاً إدراكاً تاماً لخطورة الهجمة الصهيونية على حياة ومستقبل الأمة العربية والإسلامية، مما دعاه لمضاعفة دعمه للمجاهدين في فلسطين مادياً ومعنوياً. ولما أنشئت المقاومة الشعبية عام 1956 اشترك فيها، وهو إذ ذاك نائب رئيس رابطة العلماء، فتدرَّب مع زملائه علماء دمشق على الرمي وحمل السلاح تطبيقاً للسنة الشريفة.

تأسس رابطة العلماء ورئاسته لها: وبعد استقلال سورية ساهم بتأسيس رابطة العلماء التي اختير فيها نائباً للرئيس الشيخ أبي الخير الميداني لفترة، ثم أصبح رئيساً لها بعد وفاة الميداني عام 1973م، وكانت هذه الرابطة تضمُّ في عضويتها خيرة العلماء العاملين بسورية، ويضمُّ مجلس شيوخ الرابطة

كلاً من فضيلة العلامة الشيخ أبو الخير الميداني رئيساً، وفضيلة العلامة الشيخ إبراهيم الغلابيني، وفضيلة العلامة الشيخ حسن حبنكة الميداني، وفضيلة العلامة الشيخ محمد صالح فرفور، وفضيلة العلامة الشيخ محمد سعيد البرهاني، وفضيلة العلامة الشيخ عبد الوهاب دبس زيت، وفضيلة العلامة الشيخ عبد الكريم الرفاعي، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن الزعبي، وفضيلة الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق، وفضيلة الشيخ محمد بلنكو مفتي حلب، وأغلبية علماء المحافظات السورية، وغيرهم كثير، فكانت من أهم التجمعات الدينية والفكرية تأثيراً في مجريات الأحداث الاجتماعية والسياسية، خصوصاً على الانتخابات النيابية السورية.

دوره في الحياة السياسية في سورية: وكان له دور بارز في الحياة السياسية السورية بعد الاستقلال وحتى أوائل الستينات من هذا القرن، إذ كان الرؤساء والوزراء والزعماء عموماً يطلبون دعمه ورضاه.

دعا لتأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وكان عضواً مؤسساً بمجلسها التأسيسي. زار عدداً من ملوك ورؤساء وعلماء الدول العربية والإسلامية على رأس وفود رابطة العلماء ناصحاً ومُرشداً، مهتماً ومعزياً. حثَّ علماء المغرب على تأسيس رابطة للعلماء فيها، ولم يغادر المغرب حتى جمع أغلب علمائه تحت رايتها إثر مؤتمر عقده بمدينة (فاس) بمشاركته التوفيقية والفعالة... ولم يقعه مرضه عن المساهمة المادية والوجدانية في معركة حرب رمضان، فقد قام رحمه الله قبيل الحرب باستضافة كبار ضباط وأفراد الفرقة المغربية التي ساهمت بالحرب، وزودهم بإرشاداته ودعواته لهم

ولأشقاؤهم السوريين بالنصر، ثم قام بزيارة الجرحى من الضباط والجنود السوريين والمغاربة، وقَدَّم لهم الهدايا.⁽¹⁾

14- الشيخ محمد الحامد:

علامة حماة في الفقه والتصوف (ت1969م)⁽²⁾ الذي كان أول من دعا إلى تطهير البلاد من المستعمرين الفرنسيين وله مجموعة خطب مكتوبة تحت على الثورة. الحامد.. علم بارز من أبرز علماء بلاد الشام.. كان داعية إلى الله بعلمه وعمله وسلوكه، وكان كلما ازداد علماً ازداد تواضعاً وورعاً وتقوى.. كان نموذجاً للإنسان المؤمن الصادق.. عميق الفهم، فتي العزم.. شغلته قضايا أمته، فعمل لها من أجل إقامة الأمة على منهج الإسلام.⁽³⁾

وغيره كثير لا يتسع المجال لذكرهم هنا سجلوا بحروف من نور أمجاداً وبطولات لا بد للأجيال أن تعيها. إن الفضل الأول في تكوين هذه الفئات يعود إلى المدرسة الروحية الخالدة التي أنجبت القواد العظماء أمثال نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس وعبد القادر الجزائري وعمر المختار وعبد الكريم الخطابي كانوا جميعاً نماذج رائعة من التجرد والإخلاص إنهم ورثة النماذج من السلف الصالح من أمثال خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسواهم.

⁽¹⁾ <http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=13578>

⁽²⁾ العلامة المجاهد محمد الحامد، عبد الحميد طهماز -سلسلة أعلام المسلمين دمشق، 1981، دار القلم، ص37. وكان الشيخ محمد الحامد قد سلك طريق النقشبندية في حمص على يد الشيخ محمد أبو النصر خلف ت: 1948م.

⁽³⁾ حسني أدهم جرار، موقع رابطة علماء الشام.

ونخلص في ختام هذا البحث إلى معرفة دور علماء بلاد الشام في حركات التحرر المعاصرة حيث كانوا فيها الطلائع والمبادرين؛ كونهم يملكون طاقات علمية فعملوا بما علموا فجسدوا الإسلام حسا ومعنى، روحا وجسدا، مما جعل إقدامهم إقدام الأبطال، إقدام المشتاقين إلى لقاء ربهم طالبيين الشهادة الخالية من الشوائب، فكما أنهم شاركوا في الدفاع عن الأمة ومجدها، كان لهم الدور الفاعل في توجيه أبناء الأمة وتركيتهم، فلم يرضوا بالذل والعار ولو للحظة، فقدموا نماذج قلما نسمع عنها في التاريخ إلا من كان على شاكلتهم، كما أنهم لم يركنوا إلى الراحة بعد جلاء العدو عن ديارهم؛ بل نجدهم عادوا للعلم والتعليم، وتربية النفوس وتركيتها، وكم رأينا في هذا البحث من مشاركة علماء التصوف في تبني الإصلاح الاجتماعي والمشاركة المجتمعية. وبهذا نستطيع أن نخلص إلى حقائق موثقة بأنهم كانوا فاعلين ومنفعلين مع مجتمعاتهم لم ينعزلوا عنه إلا فترة التزكية، والخلة وهذه سنة الرسول-صلى الله عليه وسلم- فكم كان يخلو بنفسه،⁽¹⁾ وكل مسلم يحتاج لمثل هذه الخلة ليعود من خلوته مسلما قويا لا تأخذه الدنيا ببهرجها، يعود متخليا عن أوصافه الذميمة متخليا بأخلاقه الحميدة، يعود قرآنا يمشي على الأرض متمسكا بدينه مطبقا لسنة نبيه.

ومن الحقائق التي نخلص إليها أن علماء الصوفية تنبهوا لمقاصد أعداء الدين، في هدم الركن الأساسي الركن الروحاني الذي لا يتجسد الإسلام إلا به

⁽¹⁾ كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزء الله وجزء أهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي.

ولا يتحقق مقصوده إلا من خلال طرحهم وطريقتهم، ولكننا نجد غيرهم ممن سلك غير طريقهم كيف تسرب المرض إلى نفوسهم حتى أخذوا يصدقون كل ما يبثه الاستعمار من دعوات زائفة، كالحرية، والديمقراطية، والحريات الدينية، وحقوق الإنسان.

ولم يتوقف الأمر عند المشككين بالإسلام بل تعداه إلى المسلمين أنفسهم- أصلحهم الله-أخذوا يشكون بكل جهد قدمه علماء الصوفية، وتشويه صورة التصوف، يستدرون عواطف الناس بما يتصيدونه من أخطاء أدياء التصوف، فما أنصفوا ولا نطقوا بالحقيقة، فتارة يردون التصوف إلى الزردشتية وتارة إلى الهندية، ووصفوا التصوف بأنه قوقعة بالزوايا والتكايا، وهو خمول وانهزام واستسلام، وأنكروا كل جهد ونضال وأثر قدموه للامة، ولم يتناولوا التصوف من منابعه الأصلية وعلمائه العاملين على انه همة وبأس وصمود وصبر ورجولة، يقومون الليل ويصومون النهار "رهبان الليل وفرسان النهار"، يجاهدون أنفسهم، لترتقي إلى أعلى مراتب النفس الإنسانية من قيم عليا، متبعين بذلك سنة النبي - صلى الله عليه وسلم-، وما انطوت عليه بواطن الصحابة.

ومن الحقائق التي تستخلصها من هذا البحث أن علماء الصوفية هم من دحروا الأعداء وسطروا أروع آيات النصر والجهاد بإيمان ويقين لا يبرحهم البتة حتى يحققوا إحدى الحسنيين ولولا هم لبقيت ديار الإسلام خاضعة ترزح تحت نير الاحتلال الصليبي البغيض.

وما أثبتناه غيظ من فيض، من علماء الصوفية، فقد اكتفى الباحث بذكر نماذج من علماء بلاد الشام المشهورين وبعض المغمورين، ولكن القائمة طويلة والعدد كبير لا يستوعبه هذا البحث وليس هذا مجاله. والحقيقة الأخرى هي أن المؤرخين لهذا العصر لم يسلطوا الضوء على دور علماء الصوفية في مقاومة الاحتلال، والإصلاح الاجتماعي فلم ينسوهم فحسب، بل غمزوا ولمزوا، ونسبوهم إلى السليبيين والقدرية المتواكلين، وكأنهم لم يطلعوا على الحقائق التاريخية، ولم يوصفوا بالمؤرخين ولكن الحقيقة أنهم تعمدوا ذلك فلم ينسبوا للإسلام إلا إرهابا وتخريبا وكبح للحريات وظلم للمرأة وأطاعوا بذلك أساتذتهم من المستشرقين، قلبوا الموازين فحسنوا القبيح وقبحوا الحسن. «فمدحوا الحركات المناوئة للإسلام والتي ألحقت به ابلغ الضرر في عصره الأول كحركة القرامطة والباطنية والخرمية البابكية... يرددون شعارات براقة ظاهرها الرحمة وباطنها فيها العذاب: "كالتحليل العلمي، و"إعادة كتابة التاريخ"، و«الدراسة الموضوعية المنهجية»، فجعلوا باسم التحليل العلمي الشعبية الحاقدة منارات هدى في تاريخنا».⁽¹⁾

وعليه علينا نحن الدارسين والمهتمين إعادة النظر في تدوين تاريخنا، هذا التاريخ الذي كتبه أعداء الإسلام ودعاة التقدمية الممزوجة بروح الاستشراق الظالم.

(1) انظر تصدير كتاب "الحركات الإسلامية المعاصرة"، شوقي أبو خليل ص 8 وما بعدها.

ولا ننسى في هذا المجال ما كتبه مؤرخو الحركات الإسلامية المخلصين لدينهم، فبذلوا الجهد الفردي في بيان الحقيقة التاريخية لإنصاف العلماء العاملين من رجال الثورة والمقاومة.⁽¹⁾

وهذا يتطلب منا نحن الباحثين تضافر الجهود في إعادة كتابة تاريخ علمائنا وبيان دورهم في حركات التحرر المعاصرة في العالم الإسلامي. والسبيل إلى ذلك الرجوع إلى المؤرخين المنصفين الذين بثوا التاريخ في ثنايا كتبهم وترجماتهم لأنها تترجم عن واقع مشاهد معاش، وما كتبه التلاميذ عن مشايخهم، وما عشناه نحن المعاصرين من مقاومة ربما ما زلنا نشاهدها في عالمنا المعاصر، فقد تحال كل هذه الانتصارات إلى من كان مختبئاً في جحره، بفعل السلطة أو المال أو الحزبية...

وأخيراً أرجو أن أكون قد قدمت نماذج من علمائنا تعيدنا إلى مجدنا وتذكرنا بتاريخنا ليكونوا القدوة لبناء جيل النصر والتمكين فعسى أن يظهر جيل صلاح الدين من جديد صلاح الدين الذي اقتدى بالعلماء العاملين هو ونور الدين مقتدين بمدرسة الإمام الغزالي علما وعملا.

نعم إنهم نماذج صدقوا مع الله فصدقهم ولا يكون النصر إلا بما انتصروا به، والذي أرجوه أن لا تصبح هذه النماذج تراثاً نتغنى به؛ بل يكون دافعا للقدوة بعلمائنا لعل الله يبعث روح هذه الأمة من جديد. "يجل بعضنا بعضا بعيدين عن تكفير المسلمين والتطرف وعلينا قبول الآخر، وإيصال رسالة الإسلام كما أرادها الشارع سبحانه وتعالى، نجتمع ولا نختلف نتحاور ولا نتشاجر" لا خيرَ في كثيرٍ من نجواهم إلا من أمرَ بصدقَةٍ أو

(1) انظر المصادر والمراجع للاطلاع على هذه المؤلفات القيمة.

مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114) وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" صدق الله العظيم محققين ما جاء في رسالة عمان التي أجمع عليها مشاركو مؤتمر منظمة العالم الإسلامي والتي تبين حقيقة الإسلام ودعوته إلى خيري الدنيا والآخرة.⁽¹⁾

ثبت المصادر والمراجع:

1. - أبو خليل شوقي، الإسلام وحركات التحرر العربية. ... دمشق 1976 دار الرشيد، ط1
2. مجاهد، زكي محمد الأعلام الشرقية في المائة الرابعة الهجرية. دار الطباعة المصرية الحديثة 1949، ط1، ج2.
3. شاهين، محمد علي أعلام الصحوة الإسلامية.
4. الأعلام، ج6، ج7.
5. أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي الاول 1995م
6. حصريّة، عزة. إمام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي، دمشق 1965
7. ابن عساكر، تاريخ دمشق،
8. شاهين، محمد علي تاريخ سورّيّة السياسي والاجتماعي ج 1،
9. الحافظ، محمد مطيع، ونزار أباطة، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري،، دمشق ج2، 1986، دار الفكر ط1،

⁽¹⁾ <http://www.ammanmessage.com/index.php?lang=ar>

10. عيسى، عبد القادر، حقائق عن التصوف، ط5
11. الكردي، محمد سعيد، ديوان القصائد الروحية في الأسرار الذاتية، ط1، 1962م، مطابع العودة، الأردن اربد
12. الطنطاوي، علي، ذكريات الشيخ علي الطنطاوي، ج 5
13. الطنطاوي، علي، رجال من التاريخ، ط8، 1990م، دار المنارة، جده
14. رسالة عمان "بيان مفصل أصدره صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني
15. شيوخ، محمد عصمت، سورية وقضية فلسطين ط1، 1982 ، دار قتيبة للطباعة والنشر
16. الكردي، رضوان محمد سعيد، الشاعري شاعر التصوف في القرن العشرين، ط1، 2002م، دار الفجر، دمشق
17. درنيقة، محمد أحمد، صفحات من جهاد الصوفية والزهاد
18. النوباني، محمد نجاح، العارف بالله الشيخ محمد سعيد الكردي
19. طهماز، عبد الحميد، العلامة المجاهد محمد الحامد، - سلسلة أعلام المسلمين، دمشق، 1981، دار القلم
20. العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس دار إحياء التراث العربي
21. المجاهد الصامت الشيخ محمد الأشمر سيرته وجهاده إعداد لجنة الدراسات،
22. هذه هي الصوفية، التصوف بين الحق والحقيقة"،
23. الوعي والثورة، سميح حمودة. جمعية الدراسات العربية في القدس دار الشروق. الأردن.

مواقع الكترونية ودوريات

المواقع الالكترونية كموقع الصوفية، وروض الرياحين، وموقع الدفاع عن الداعية الحبيب علي الجفري وموقع صوفية حضر موت.....الخ

24. جريدة (الأحرار) في بيروت، في العدد 678 الصادر في الثاني من شهر شعبان 1354هـ. تاريخ الثورة السورية، محي الدين السفرجلاني. دمشق 1961 دار اليقظة العربية

25. موقع رابطة علماء الشام، حسني أدهم جرار

26. <http://alalawi.1934.free.fr/modules.php?name=Content&pa=showpage&pid=36>

27. <http://cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=12517&page=2#p6730> 8

28. <http://majles.alukah.net/showthread.php?t=1927>

29. <http://www.almarfaa.net/?p=152>

30. <http://www.ammanmessage.com/index.php?lang=ar>

31. <http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=13578>

32. <http://www.islamsyria.net/Details.php?QType=7&Id=73> د. محمد

فتحي راشد الحريري

33. <http://www.jo1jo.com/vb/showthread.php?t=65809>

34. www.alagidah.com/vb/archive/index.../t-2164.html

35. <http://okbah.cc/ok>